Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العالم المحيط به ، وأغلب الظن أن حساناً نفسه لم يكن يريد إلىٰ الصدق ، وإنما كان يعبر تعبيراً عفوياً ، فالطبع البدوي العفوي ربما كان يميل إلى المبالغة في القول كما كان يميل الى المبالغة في الحياة ، لأنه لا يعرف الحدود الوسطىٰ ، وإنما يطمح الى الحدود القصوىٰ ، ولكنه ـ على كل حال ـ لم يكن يريد أيضاً إلى الغلو ، وهذا ما أساء اليه ، فثمّة مثل أعلىٰ ، أو حد أقصىٰ للمعاني ، على الشاعر أن يبلغه دونما تفكير في مطابقته لمشاعره ، أو عدم مطابقته .

وفي الرواية أن هنالك من احتجّ لحسان ، وأن هنالك من احترس من مثل زلله ، غير أن هذا لا يعني أن هؤلاء نبهوا على ما يخالف رأي النابغة في القصد إلى بلوغ الغاية من الشيء ، وإنما هي مخالفات جزئية شكلية . وهكذا ، فإن قبة النابغة حددت مبدأ رئيساً من مبادىء النقد ، هو أن على الشاعر ألا يصدر عن طبعه ، وإنما عن مثله ، سواء أكان هذا المثل مطابقاً لطبعه أم لم يكن ، وربما كان هذا أخطر ما أورثته هذه القبة لتاريخ النقد العربي ، إذ أنكرت مبدأ الصدق الذي يلزم الشاعر بالصدور عن مشاعره لا عن مشاعر غيره ، أو عن مشاعر أخرى قد تخالف مشاعره ، ولكي ندرك خطر هذا المبدأ ، علينا أن نفكر في مقدار جهلنا بالشعراء على الرغم من غزارة شعرهم ، إننا نجد في ديوان الشاعر الجاهلي كل شيء إلا ذاته ، على الرغم مما يفترض من أن شعره ذاتي ، فهو ذاتي لأنه ليس بموضوعي ، لا لأنه صورة ذات الشاعر ، إنه صورة المثل ، والعرف ، والمجتمع ، والبيئة ، والذوق العام ، ولكنه ليس صورة الشاعر ، ولقد أفضى هذا المبدأ مثلاً في مسألة المدح الى أن يكون الكرم هو الصفة الأساسية التي يمدح بها من هم أهل للمدح ، على الرغم من اختلاف صفاتهم ، أما في الغزل ، فالأمر أوضح ، إذ أصبح للمرأة الجاهلية في غزل الشعراء أنموذج وحيد لا يتغير ، ومع ان الذوق قد يتغير ، بل لابد أن يتغير في أمر ذاتي كالميل الى المرأة ، فإنه لم يتغير في دواوين الجاهلية لسبب واضح هو أن كل